سورة القصص

وقال أيضاً الشيخ محمد رحمه الله تعالى :

(طسم . تلك آيات الكتاب المبين . نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون)(١) فيه مسائل :

الأولى : التنبيه على جلالة القرآن وعظمته .

الثانية : التنبيه على وضوحه ، وقوله : (بالحق) فيه علامة النبوة .

الثالثة : أن العلم بيّنٌ يعرفه أهل الإيمان وإن جهله غيرهم(٢) . وقوله (إن فرعون علا في الأرض)(٣) إلى آخره فيه ذم العلو في الأرض .

الثانية : ذم جعل الرعية شيعاً .

الثالثة : التنبيه على كبر هذا الظلم .

الرابعة : التسجيل عليه أنه من هذه الطائفة ، فمن أراد من الرؤساء أن يكون مثله فهذا فعله ، ومن أراد اتباع الخلفاء الراشدين فقد بان فعلهم .

---

(١) سورة القصص الآية : ١ — ٣ .

(٢) زيادة من ٥١٦ — ٨٦ .

(٣) قوله تعالى : (إنّ فرعَوْن علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفةً منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين) الآية : ٤ .

وقوله : (ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض)(١) إلى آخره هذه الإرادة القدرية بخلاف قوله : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس)(٢) وأمثالها فهي إرادة شرعية .

الثانية : أن ابتلاءهم بالاستضعاف سبب للمنّة عليهم ، وكونهم أئمة وكونهم الوارثين ، والتمكين لهم في الأرض ، وتعريف عدوهم بما يحذره . فهذه خمس فوائد نتيجة تلك البلوى .

الثالثة : تبيين قدرته العظيمة لعباده .

الرابعة : أن الحذر لا يغني من القدر .

وقوله : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) إلى آخره (٣) هذا وحي إلهام ، ففيه إثبات كرامات الأولياء .

---

(١) قوله تعالى : (ونريدُ أن نَمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين . ونمكّن لهم في الأرض ونُرِيَ فرعونَ وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) الآيتان : ٥ ــ ٦ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية : ٣٣ وهي قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهركم تطهيرا) .

(٣) قوله تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليَمِّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادوهُ إليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأةُ فرعون : قرةُ عَيْنٍ لي ولكَ لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون . وأصبح فؤادُ أمِّ موسى فارغاً إن كادت لتُبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) الآيات : ٧ ــ ١٠ من سورة القصص .

الثانية : أنها أمرت بإلقائه في اليم ، وبُشِّرتْ بأربع .

وقوله : (فالتقطه آل فرعون) فيه حكمة هذا الالتقاط(١) .

الثانية : أن اللام لام العاقبة .

الثالثة : أن الإنسان قد يختار ما يكون هلاكه فيه .

الرابعة : أن ذلك القدر بسبب خطايا سابقة .

وقوله : (وقالت امرأة فرعون) إلى آخره فيه أن المرأة الصالحة قد يتزوجها رجل سوء .

الثانية : قولهـــا : (قرة عين لي ولك) فيه محبة الفأل .

الثالثة : ذكر الترجي .

الرابعة : عدم الشعور .

وقوله : (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) الآية فيه ما ابتليت به .

الثانية : لولا منة الله عليها بالربط .

الثالثة : لتكون من المؤمنين .

الرابعة : أن الإيمان يزيد وينقص .

وقوله : (وقالت لأخته قصـــيه)(٢) الآية ، فيه أن التوكل واليقين لا ينافي السبب .

الثانية : تسبب الأخت أيضاً .

الثالثة : عدم شعورهم مع ذكائهم وظهور العلامات .

---

(١) في س « حكمة الالتقاط » .

(٢) قوله تعالى (وقالت لأخته قُصِّيه فبصرت به عن جُنُبٍ وهم لا يشعرون) الآية : ١١ .

وقوله : (وحرمنا عليه (١) المراضع) الآية هذا التحريم قدَري .

وأما قوله : (حرمنا عليهم طيبات أحلّت لهم) (٢) وأمثالها فتحريم شرعي .

الثانية : هذه العلامة الظاهرة في كلامها ولم يفهموا مع فطنتهم .

وقوله : (فرددناه إلى أمه) إلى آخره(٣) فيه الرد لثلاث فوائد .

الثانية : تفاوت مراتب العلم لقوله : (ولتعلم) .

الثالثة : أن بعض المعرفة لا يسمى علماً فيصح نفيه من وجه وإثباته من وجه .

الرابعة : المسألة العظيمة الكبيرة تسجيل الله تبارك وتعالى على الأكثر أنهم لا يعلمون أن وعده حق .

وقوله : (ولما بلغ أشده (٤) واستوى) فيه أن ذلك الإيتاء بعد بلوغ الأشد والاستواء .

الثانية : الفرق بين العلم والحكم .

---

(١) قوله تعالى : (وحرَّمنا عليه المراضع من قبلُ فقالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلُونه لكم وهم له ناصحون ؟) الآية : ١٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٦٠ وتمامها قوله تعالى : (فبظلمٍ من الذين هادُوا حرَّمنا عليهم طيبات أحلّت لهم وبصَدِّهم عن سبيل الله كثيراً) .

(٣) قوله تعالى : (فرددناه إلى أمّهِ كي تقرَّ عينُها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكنّ أكثرهم لا يعلمون) الآية : ١٣ .

(٤) قوله تعالى : (ولمّا بلغ أشـدَّه واستوى آتيناه حُكْماً وعِلماً وكذلك نجزي المحسنين) الآية : ١٤ .

الثالثة : ذكره أنه يفعل ذلك بالمحسنين ، كما فعل ضده مع الذين كانوا خاطئين .

الرابعة : ترغيب عباده في الإحسان .

الخامسة : أن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها .

السادسة : فيه(١) سر من أسرار القـــدر .

وقوله : (ودخل المدينة)(٢)إلى آخره فيه أن الرجل الصالح قد يسخّر للفاجر (٣) وينشأ في حجره .

الثانية : أنه قد ييسر الله الكمال العظيم بسبب أعظم المكروهات .

الثالثة : أن قتل الرجل صار ذنباً .

الرابعة : نسبة ذلك إلى عمل الشيطان .

الخامسة قوله : (إنه عدو مُضِلٌّ مبين) .

السادسة (٤) : ذكر توبته عليه السلام .

---

(١) في س « فيه من أسرار » .

(٢) قوله تعالى : (ودخل المدينةَ على حين غَفْلةٍ من أهلِها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه فوكزه موسى فقضى عليه قال : هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) الآية : ١٥ .

(٣) في ٥١٦ — ٨٦ « قد يسخّر له الفاجر » .

(٤) قوله تعالى : (قال : رب إني ظلمتُ نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم .قال: رب بما أنعمتَ عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين) الآيتـــان : ١٦ — ١٧ .

السابعة : ذكر مغفرة الله له .

الثامنة : ذكر سبب المغفرة .

التاسعة : شكر نعمة الخلق .

العاشرة : كون شكرها عدم مظاهرة المجرمين .

وقوله : (فأصبح في المدينة)(١) إلى آخره فيه أن هذا الخوف غير المذموم في قوله : (ولا (٢) يخشون أحداً إلا الله) .

الثانية : أن ذلك الترقب لا يذم .

الثالثة : ما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الشدة .

الرابعة : قوله لذلك الرجل : (إنك لغوي مبين) أن مثل ذلك لا يُذَمُّ .

الخامسة : العمل بالقرائن .

السادسة : الفرق بين إرادة الصلاح بالقوة وبين إرادة الفساد في الأرض بالتجبر .

---

(١) قوله تعالى : (فأصبحَ في المدينة خائفاً يترقّبُ فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى : إنك لغوي مبين . فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين) الآيتان : ١٨ — ١٩ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٩ ، وتمامها (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً) .

وقوله : (وجاء رجل) (١) إلى آخره فيه قوة ملكهم .

الثانية : ما عليه الرجل من محبة الحق وأهله .

الثالثة : تأكيده عليه بالأمر بالخروج ، وذكره له أنه له من الناصحين بعد النذارة .

وقوله : (فخرج منها(٢) خائفاً يترقب) فيه أن ذلك الخوف والترقب لا يُذَمّ .

الثانية : استغاثته بالله مع فعله السبب .

الثالثة : أن كراهة الموت لا تذم .

الرابعة : أن الظالم يوصف بالظلم ، وإن كان في تلك القضية غير ظالـــم .

وقوله : (ولما توجه) (٣) إلى آخره فيه أنه توجه من غير سبب .

الثانية : سؤاله الله(٤) أن يدله الطريق .

الثالثة : أن (عسى) في هذا الموضع سؤال .

---

(١) قوله : (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال : يا موسى إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) الآية : ٢٠ .

(٢) قوله تعالى : (فخرج منها خائفاً يترقّب قال : رب نجّني من القوم الظالمين) الآية ٢١ .

(٣) قوله تعالى : (ولما توجّه تلقاء مدين قال : عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) الآية : ٢٢ .

(٤) في س « سؤاله أن يدله الطريق » .

وقوله : (ولما ورد ماء مدين) (١) إلى آخره فيه ما أعطى عليه السلام من القوة .

الثانية : إحسانه إليهما في هذه الحال .

الثالثة : مخاطبة النساء لمثله .

الرابعة : ظهور النساء في خدمة أمواتهن للحاجة .

الخامسة : تأدبهما في عدم مزاحمة الرجال .

السادسة : ذكرهما السبب(٢) .

السابعة : أن المانع له عدم القوة لا الترتيب .

الثامنة : سؤاله ربه القوت .

التاسعة : تأدبه في السؤال بذكر حاله للاستعطاف .

العاشرة : أن الشكوى إلى الله لا تُذَمُّ .

وقوله : (فجاءته إحداهما) (٣) إلى آخره فيه التنبيه على الحياء .

الثانية : الثناء على المرأة .

---

(١) قوله تعالى : (ولمّا ورد ماء مدين وجد عليه أُمّةً من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال : ما خطبكما ؟ قالتا :لانسقي حتى يُصدر الرعاءُ وأبونا شيخ كبير . فسقى لهما ثم تولى إلى الظلّ فقال : ربّ إني لِمآ أنزلت إليَّ من خير فقير) الآيتان : ٢٣ ــ ٢٤ .

(٢) في ٥١٦ ــ ٨٦ « ذكر إهماله السبب » وهو خطأ من الناسخ .

(٣) قوله تعالى : (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجرَ ما سقيتَ لنا فلما جاءه وقصَّ عليه القصص قال : لا تخف نجوْت من القوم الظالمين) الآية : ٢٥ .

الثالثة : إرسالها إلى الرجل المجهول للحاجة .

الرابعة : عدم إنكاره للأجرة على العمل الصالح .

الخامسة : قوله : (لا تخف)(١) لأنه ليس لهم سلطان عليهم .

السادسة : كونهم معروفين بالظلم عندهم. وقوله: (قالت إحداهما)(٢) إلى آخره فيه أن المرأة قد تصيب وجه الرأي .

الثانية : ما أعطيت من الذكاء .

الثالثة : أن طاعتها في مثل هذا لا تُذَمُّ .

الرابعة : الولاية لها ركنان القوة والأمانة ، فالأمانة ترجع إلى خشية الله ، والقوة ترجع إلى تنفيذ الحق .

الخامسة : أن الاحتياط للمال لا يذم .

وقوله : (قال(٣) إني أريد) إلى آخره فيه أن هذه الإجارة صحيحة بخلاف قول كثير من الفقهاء : من منعهم الإجارة بالطعام والكسوة للجهالة .

الثانية : أن المنفعة يصح جعلها مهراً للمرأة خلافاً لمن منع ذلك .

---

(١) في س « ليس له » .

(٢) قوله تعالى : (قالت إحداهما : يا أبتِ استئجره إنَّ خيرَ من استأجرت القوي الأمين) الآية : ٢٦ .

(٣) قوله تعالى : (قال : إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتيَّ هاتين على أن تأجُرَني ثماني حِجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء اللهُ من الصالحين . قال : ذلك بيني وبينك أيَّما الأجلين قضيْتُ فلا عدوان عليَّ واللهُ على ما نقول وكيل) الآيتان : ٢٧-٢٨

الثالثة : أن هذه المهنة لا نقص فيها ، كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبياً إلا رعى (١) الغنم » .

الرابعة : أنها صفة كمال لا يكمل الإنسان إلا بهـا .

الخامسة : أن ذكر مثل هذا في الإجارة وهي قوله : (أيما الأجلين قضيت) لا يُبطِلُ الإجارة .

السادسة : المسألة الكبيرة الدقيقة وهي قوله صلى الله عليه وسلم : « قضى أطيب(٢) الأجلين » أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعـل .

السابعة : تأكيد العقد بقوله : (والله على ما نقول وكيل) .

وقوله : (فلما قضى موسى(٣) الأجل وسار بأهله) فيه أنه أقام هذه المدة أجرته فيها طعام بطنه وعفة فرجه .

---

(١) رواه البخاري : (في كتب : الإجارة ـ الأطعمة ـ الأنبياء) ومسلم (إيمان) و(أشربة) والموطأ (استئذان) ، وأحمد في مسنده جـ ٣ ص ٣٢٦ .

(٢) المروي في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال : سألني يهودي من أهل الحيرة : أي الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أدري ، حتى أقدم على حبر العرب فأسأله ، فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل .

صحيح البخاري (كتاب الشهادات) .

(٣) قوله تعالى : (فلمّا قضى موسى الأجل وسار بأهله آنَسَ من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنستُ ناراً لعلّي آتيكم منها بخبرٍ =

الثانية : تسمية ذلك النور(١) ناراً .

الثالثة : هذا الفَرَج بعد الشدة الذي أفرد بالتصنيف، ولم يذكروا لهذه نظيراً ولا ما يقاربها .

الرابعة : أنهم مع هذه الشدة بالبرد ولا نار معهم .

الخامسة : أنهم ضلوا الطريق .

السادسة : جواز مثل هذا السفر للحاجة .

السابعة : ذكر الموضع الذي ناداه الله منه .

الثامنة : إثبات الصفات .

التاسعة : الرد الواضح على الجهمية في قولهم : هذا عبارة .

العاشرة : تقريبه نجياً فذكر النداء والمناجاة .

= أو جَذْوة من النار لعلكم تصطلون. فلمّا أتاها نودي من شاطئ الوادِ الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا اللهُ رب العالمين . وأن ألْقِ عصاك فلما رآها تهتزّ كأنها جان ولىّ مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنّكَ من الآمنين . اسلُك يدك في جَيْبك تخرجْ بيضاء من غير سوءٍ واضمم إليك جناحَك من الرَّهْبِ فذانك برهانان من رَبِّك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين . قال : ربِّ إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون . وأخي هارون هو أفصحُ مني لساناً فأرْسله معِي ردْءًا يصدِّقُني إني أخاف أن يكذِّبون . قال : سنشُد عَضُدك بأخيك ونجعلُ لكما سلطاناً فلا يَصِلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) الآيات : ٢٩ ــ ٣٥ .

(١) في س بدون « ناراً » .

الحادية عشرة : اختصاص موسى بهذه المرتبة ولذلك ذكرها إبراهيم عليه السلام إذا طلبت (١) منه الشفاعة .

الثانية عشرة : كونه أُمِرَ بالقاء العصا فصارت آية .

الثالثة عشرة : كونه أمر بادخال اليد فتكون آية أخرى .

الرابعة عشرة : كونه (ولى مدبراً ولم يعقب) .

الخامسة عشرة : قوله (أقبل ولا تخف) .

السادسة عشرة : تبشيره أنه من الآمنين .

السابعة عشرة : كونه أُمِرَ بضم جناحه من الرهب .

الثامنة عشرة : تسميتهما برهانان .

التاسعة عشرة : كونه من ربك .

العشرون : كونهما إلى فرعون وملائه .

الحادية والعشرون : التعليل بأنهم قوم ظالمون .

الثانية والعشرون : هذه العطية العظيمة في تلك(٢) الشدة العظيمة .

الثالثة والعشرون : اعتذاره بقتل النفس والخوف منهم .

الرابعة والعشرون : اعتذاره برثاثة لسانه .

الخامسة والعشرون : طلبه الاعتضاد بأخيه .

السادسة والعشرون : طلبه الرسالة .

---

(١) ورد هذا في حديث الشفاعة ، وقد رواه البخاري (كتاب التفسير و(كتاب التوحيد) ومسلم (إيمان) وابن ماجه (زهد) ، وأحمد في مسنده ج ٣ ص ١١٦ ، ٢٤٤ وفي مسند أحمد أيضاً ج ٢ ص ٣٩٢ محاجة آدم لموسى عليهما السلام .

(٢) زيادة في المخطوطة س .

السابعة والعشرون : تعليله بخوف تكذيبهم .

الثامنة والعشرون : إجابة الله إياه .

التاسعة والعشرون : تبشيره أنه يجعل لهما سلطاناً فلا يَصِلُونَ إليهما .

الثلاثون : تبشيره بغلبته وغلبة أتباعه .

وقوله : (فلما جاءهم موسى بآياتنا(١)) إلى آخره فيه أنه أتاهم بآياتٍ منسوبة إلى الله وأنها بيّنَات .

الثانية : أنهم قابلوها بما ذكر .

الثالثة : أنهم احتجوا لقولهم فيها : بعدم سماعهم هذا في آبائهم .

الرابعة : جواب موسى عليه السلام .

وقوله : (قال فرعون يأيها(٢) الملأ) إلى آخره فيه هذا الإنكار الذي هو غاية الكفر .

الثانية : قوله : (ياهامان أوْقِدْ لي) كيف تصرّف الله في عقول العاصين .

الثالثة : استدلّ بها الأئمة على الجهمية .

---

(١) قوله تعالى : (فلمّا جاءهم موسى بآياتنابيّنات قالوا : ما هذا إلا سِحْرٌ مفترى وما سمعنا بهذافي آبائنا الأولين . وقال موسى : ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكونُ له عاقبة الدار إنه لا يُفلح الظالمون) الآيتان : ٣٦ ــ ٣٧ .

(٢) قاله تعالى : (قال فرعون : يأيها الملأ ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري فأوْقدْ لي يا هامانُ على الطين فاجعل لي صَرْحاً لعلي أطّلعُ إلى إله موسى وإني لأظنُّه من الكاذبين) الآية : ٣٨ .

وقوله : (واستكبر(١) هو وجنودُه في الأرض) وصفهم بأن فيهم المهلك وأنهم عدموا المنجي ولذلك أخذهم بما ذكر .

الثانية : أمر المؤمن بالنظر في عاقبتهم .

الثالثة : أنه أتى بلفظ الظالمين ليبين أن ذلك ليس مختصاً بهم .

وقوله : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) (٢) هذا الجعلُ القدري، وأمّا قوله : (ما جعل الله من بحيرةٍ) (٣) وأمثاله فهذا الجعلُ الشرعي .

الثانية : أن معرفة هذا مما يوجب الحرص على النظر في الأئمة إذا كان منهم من جعله الله يدعو إلى النار ، ومنهم من قال فيه : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا)(٤) .

الثالثة : ذكر ما لهم في القيامة .

الرابعة : ما أبقى لهم على ألسنة الناس في الدنيا .

الخامسة : ما لهم في الآخرة .

---

(١) قوله تعالى : (واستكبر هو وجنودُه في الأرض بغير الحق وظنُّوا أنهم إلينا لا يُرجَعون . فأخذناهُ وجنودَه فنبذناهم في اليمِّ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الآيتان : ٣٩ ــ ٤٠ .

(٢) قوله تعالى : (وجعلناهم أئمة يدْعُون إلى النارِ ويوم القيامةِ لا ينصرون . وأتْبَعْناهم في هذه الدنيا لعنةً ويوم القيامةِ هم من المقْبُوحين) الآيتان : ٤١ ــ ٤٢ .

(٣) سورة المائدة : الآية : ١٠٣ ، ونصها (ما جعل اللهُ من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذبَ وأكثرهم لا يعقلون) .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٧٣ .